من العوارض الذاتية . وهذا شأن كل علم من العلـــوم(١) . ويقصد إبن خلدون من عبارة « العوارض الذاتية » أو ما يلحق المجتمع من العوارض الذاتية » وهى العبارة التى إستخدمها هنا وفى مواضع أخرى كثيرة من مقدمته ، ما يقصده المرء من كلمة « القوانين » ومما يؤكد ذلك ما جاء فى الباب السادس من مقدمته ، حيث كتب من خلال حديثه عن علم الهندسة ما نصه « العلم هو النظر فى المقادير ، إما المتصلة كالخطوط والسطح والجسم ، وإما المنفصلة كالأعداد ، وفيما يعرض لها من العوارض الذاتية : مثل أن كل مثلث ، فزواياه مثل قائمتين ومثل إن كل خطين متوازيين لا يلتقيان فى وجه ولو خرجا إلى غير نهاية ، ومثل أن كل خطين متقاطعين فالزاويتان المتقابلتان منها متساويتان(٢) . ومثل أن المقادير الأربعة المتناسبة ، ضرب الأول منها فى الرابع ، كضرب الثانى فى الثالث » وهذا يدل على أنه كان يقصد القوانين وهو يتحدث عن العوارض الذاتية » .

وثمة نقطة تجدر الإشارة إليها وهى أن إبن خلدون كان يدرس الظواهر الاجتماعية فى حالة سكونها وحركتها ، أى فى حالة إستقرارها وتطورها ، أى بالمصطلحات الحديثة فى حالة إستاتيكيتها (سكونها) وديناميكيتها (تطورها) بمعنى أنه إهتم بدراسة الظواهر الاجتماعية من الناحية التشريحية ، أى دراستها فى الحالة التى هى عليها فى مكان وزمان معينين وقد تناول إبن خلدون فى دراسته لكل طائفة من طوائف النظم العمرانية مع المزج بين هاتين الناحيتين . حيث كان يدرس عناصر الظاهرة وأجزاءها ووظائفها وما إلى ذلك من مسائل الدراسة الإستاتيكية ، ويدرس فى الوقت نفسه تطورها والقوانين التى

---

(١) إبن خلدون : المقدمة ، صفحة ٢٦٥

(٢) المرجع السابق صفحة ١٠٩٧ ومن أمثلة المقادير الأربعة المتناسبة نجد ٥ : ١٠ = ١٠ : ٢٠ من هنا فإن ٥×٢٠=١٠×١٠

يخضع لها هذا التطور . ولذلك فإن إبن خلدون كان سباقا فى الربط بين الناحيتين التشريحية والتطورية فى دراساته ، على حين ان (أوجست كونت) كما سنعرف فى الفصول التالية قد فصل بينهما ، وهذا الفصل لا يتفق مع نظرية علم الاجتماع الحديثة :

ومما هو جدير بالذكر أن إبن خلدون قرر أن دراسة الظواهر الاجتماعية بهذا الأسلوب لم يسبقه إليها أحد فيما يعلم ، حيث قال : (وإعلم أن الكلام فى هذا الغرض مستحدث الصنعة ، غريب النزعة ، غزير الفائدة ، أعثر عليه البحث ، وأدى إليه الغوص ، ويضيف وكأنه علم مستنبط النشأة وليس مثل علم الخطابة الذى هو أحد العلوم المنطقية ، فإن موضوع الخطابة ، إنما هو الأقوال المقنعة النافعة فى إستمالة الجمهور (يشير هنا بذلك إلى طريقة اتخذت من قبله فى دراسة شئون الاجتماع ، وهى الطريقة التى أطلق الدكتور وافى عليها اسم طريقة (الدعوة إلى المبادىء) ولا هو أيضاً من علم السياسة المدنية ، إذ السياسة المدنية هى تدبير المنزل أو المدينة بما يجب بمقتضى الأخلاق والحكمة ، ليحمل الجمهور على منهاج يكون فيه حفظ النوع وبقاؤه (إلى ما ينبغى أن يكون) : ثم يضيف وكأنه علم مستنبط النشأة ، ولعمرى لم أقف على الكلام فى منحاه لأحد من الخليقة . وما أدرى ألغفلتهم عن ذلك؟ وليس الظن بهم» وقال أيضاً « وسلكت فى ترتيبه وتبويبه مسلكا غريباً ، واخترعته من بين المناحى مذهبا عجيبا ، وطريقة مبتدعة واسلوباً فريداً ، وشرحت فيه أحوال العمران والتمدن»(١) . ويلاحظ أن هذا الكلام فيه غمط لدراسات أفلاطون وأرسطو والفارابى . . . غير أن إبن خلدون قد تدارك الأمر بعبارة تحفظية تدل على رسوخ قدمه وعلى تواضعه كعالم ، حيث قال « ولعلهم كتبوا فى هذا الغرض واستوفوه ولم يصل إلينا ، فالعلوم كثيرة

---

(١) خطبة المقدمة ، صفحة ٤

والحكماء فى أمم النوع الإنسانى كثيرون ، ومالم يصل إلينا من العلوم أكثر مما وصل(١).

والواقع أن إبن خلدون تناول الظواهر الاجتماعية بطريقة لم يسبقه إليها أحد ، مع مراعاة أن أفلاطون وأرسطو والفارابى قد تناولوا تلك الظواهر الاجتماعية ولكن بأساليب مختلفة عن أسلوب إبن خلدون الذى تناول ظواهر الاجتماع فى مجموعها ، وعلى أنها موضوع لشعبة مستقلة ، ودرسها كما تتناول العلوم الرياضة والطبيعية ظواهرها بالدراسة ، أى بغرض الكشف عن طبيعتها وما تخضع له من قوانين.

ثانياً : ضرورات نشأة المجتمع :

هناك مجموعة من الضرورات التى تدفع الأفراد إلى تكوين مجتمع ، ومن أهم هذه الضرورات من وجهة نظر إبن خلدون ما يلى :

(ا) ضرورة التعاون :

يضاف إلى الدراسات السابقة لابن خلدون ، دراسته لموضوع الضرورات الاجتماعية والدعائم التى تستند إليها . فمن رأيه أن الفرد فى حاجة إلى التعاون مع أخيه الإنسان فى الحياة الجماعية حتى يجد ما يشبع كل دوافعه بشكل كاف . ومن ثم ينشأ التضامن الذى هو عبارة عن أقوى الدعائم التى يقوم عليها المجتمع . ذلك أن فطرة الإنسان تدفعه إلى أن يتعاون مع غيره ليستكمل بذلك خواصه النوعية والجنسية ، بالإضافة إلى ما يشبع كل بواعثه الاجتماعية . وفى هذا يقول إن (قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمادة حياته منه . . فلابد من إجتماع القدر الكثير من أبناء جنسه ليحل القوت له ولهم) (٢) .

---

(١) المرجع السابق صفحة ٢٦٦ (٢) المرجع السابق ص ٣٥

(ب) الضرورة الدفاعية :

وقد تكون الضرورة الدفاعية لكى يحتمى الإنسان بغيره فى المجتمع لمواجهة الحيوانات المتوحشة . وفى هذا يقول ، « وكذلك الواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات العجم لا سيما المفترسة ، فهو عاجز عن مدافعتها وحده بالجملة ، ولا تفى قدرته أيضاً باستعمال الآلات المعدة للمدافعة لكثرتها وكثرة الصنائع والمواعين المعدة لها ، فلابد فى ذلك كله من التعاون عليه بأبناء جنسه . . » .

(جـ) ضرورة السلطة :

ثم ينتقل إبن خلدون من الضرورتين التعاونية والدفاعية إلى ضرورة السلطة فى هذا المجتمع ، ويلتمس منشأها فيجدها قائمة فى درء العدوان بين الناس حيث يقول « ثم إن هذا الاجتماع إذا حصل للبشر كما قررناه ، وتم عمران العالم فلابد من وازع يدفع بعضهم عن بعض ، لما فى طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم ، وليست آلة السلاح التى جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم كافية فى دفع العدوان بينهم . لأنها موجودة لجميعهم . . ولابد من يد قاهرة ، حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان ، وهذا هو معنى الملك ، وقد تبين لك بهذا أنه خاصية للإنسان طبيعية ولابد لهم منها »(١) .

(د) ضرورة الإستئناس بالغير :

وهو شعور غرسته الطبيعة فى ذات الإنسان لتحقيق الحياة الاجتماعية ، ويتصف هذا الشعور بالتلقائية Spontaneity التى تدفعه إلى الإستئناس بغيره من الناس . وهذه الخاصية وإن كانت خاصية نفسية ، فإن تركيز إبن خلدون عليها يجعله يتفوق على وجهة نظر المادية التاريخية الحديثة التى تعتبر أن اساس المجتمع هو الضرورة الإقتصادية فحسب .

---

(١) المرجع السابق ٣٥ .

(هـ) ضرورة الحياة الجمعية :

إذا كان إبن خلدون قد أوضح أن الفرد لديه شعور تلقائى نحو الحياة الجمعية ، فإن هذه التلقائية ليست آلية . ولكنها تلقائية تعتمد على رغبة الفرد وميله نحو المشاركة فى تحقيق الحياة الجماعية ، حتى لا تكون الحياة سلسلة من العدوان والإضطرابات . وإذا كانت الضرورة الطبيعية والنزعة التلقائية التى فطر عليها الإنسان ، قد وفرت للإنسان فرصة الطمأنينة فى الحياة الطبيعية ، وأمنت له حفظ النوع الإنسانى والإبقاء على الحياة ، **فان الرغبة والإرادة الفردية من ناحيتها تؤمن الفرد من الآخر ، وبذلك يعيش أفراد كل مجتمع ، وعلى أى مستوى فى امان تام .**

ثالثاً : الظواهر التى تحيط بالإنسان فى المجتمع :

يرى إبن خلدون — أيضاً — أن المجتمع بالصورة التى عرضها ينطوى على مجموعتين من الظواهر ، وتلك الظواهر تؤثر وتتأثر بالإنسان وهى :

(١) مجموعة الظواهر الطبيعية :

وهذه المجموعة من الظواهر من خلق الطبيعة ، يجدها الإنسان حوله ، ويخضع لمؤثراتها ، ويكيف نفسه وفقاً لمتطلباتها ، ومكونات هذه الظواهر قد تتصل بالإنسان مباشرة ، مثل الجنس الذى ينتمى إليه الإنسان (ابيض ، زنجى . . إلخ) والدين الذى ينتمى إليه الإنسان ، وقد تتصل بالإنسان بصورة غير مباشرة مثل العوامل المناخية كالحر والبرد وما بينهما من درجات. وبالرغم من أن الدين لا يخضع لهذه المجموعة ، ذلك أن الإنسان يستطيع أن يغير دينه ، ولكنه لا يستطيع أن يغير بشرته ، فبالرغم من كل ذلك ، نجد إبن خلدون قد أضفى أهمية عظمى على هذه المجموعة من الظواهر بشكل لا يتفق مع الواقع .

(٢) مجموعة الظواهر الاجتماعية :

وهذه المجموعة من خلق المجتمع ، حيث يعمل المجتمع على إيجاد النظم الاجتماعية التى تيسر له إشباع دوافع أعضائه. غير أن هذه الظواهر كما يرى إبن خلدون ، لا توجد كلها منفصلة ، وإنما المجتمع يمثل الجذع الذى تتفرع منه الأغصان التى هى بمثابة الظواهر بمعنى ان الظواهر الاجتماعية كل متماسك الأجزاء ووحدة حية تتفاعل عناصرها وتتشابك آثارها ، ويترتب على ذلك ما نسميه بالتيارات والإنسياقات الاجتماعية. ولذلك يرى إبن خلدون أن فصل أى ظاهرة عن المجتمع يعود بالضرر على الظاهرة وعلى المجتمع أيضاً . وبالتالى فإن عزل شجرة النظم الاجتماعية عن الأرض (الظواهر الطبيعية) يؤدى إلى فنائها .

وهاتان المجموعتان من الظواهر لا تعمل إحداها مستقلة عن الأخرى ، وإنما لكل منهما تأثيرها فى الأخرى ، ومن ثم فان العلاقات بينهما وثيقة ، بحيث إذا حللنا إحدى الظواهر الاجتماعية بقصد الوقوف على عناصرها نجد أن بعض هذه العناصر يرجع إلى أصول طبيعية ، والبعض الآخر يرجع إلى أصول اجتماعية مماثلة لها .والظواهر الاجتماعية من وجهة نظر إبن خلدون متنوعة وسريعة الحركة والتطور على النحو السالف الذكر ، فمنها الظواهر التربوية ، ومنها الإقتصادية ومنها السياسية . . . وكل مجموعة منها تحكم مظهراً من مظاهر الحياة الجمعية .

إبن خلدون منشىء علم الاجتماع :

هذا ومما يؤكد إصالة إبن خلدون كمؤسس لعلم الاجتماع قوله إن الظواهر الاجتماعية لا تتأثر بالظواهر الطبيعية فحسب ، وإنما تتأثر أيضاً بظواهر من نفس نوعها . وعلى هذا فإن إدعاء المدرسة الفرنسية الحديثة لعلم الاجتماع بزعامة (دوركايم) ان الوقوف على تلك القاعدة من ابتكارها يدل على أنهم لم يدركوا حقيقة دراسات المؤسس الأول لعلم

الاجتماع وكان هذا لابن خلدون سبقا علمياً أصيلا . ذلك أن المدرسة المادية التاريخية (مدرسه كارل ماركس) لا تزال تعتقد أن الظواهر الاجتماعية لا يمكن أن تفسر إلا بقوانين اقتصادية . . . ومدرسة (تين وميشيل) التى تفسر الظواهر الاجتماعية بعناصر جغرافية . . ومدرسة (هربرت سبنسر) التى تفسر الظواهر الاجتماعية بعوامل بيولوجية تطورية . . . على حين أن المدرسة النفسية ، مثل مدرسة (تارد وجوستاف لوبون) هى أقرب المدارس فى تعليلها للظواهر الاجتماعية ، حيث تفسرها بعوامل اجتماعية من طبيعتها ، ومن ثم فإنها تتفق مع ابن خلدون فى هذه النقطة من حيث :

— تأثير العوامل الطبيعية لا يحدث بدون التفاعل مع العوامل الاجتماعية.

— تأثير العوامل الطبيعية أقل كثيراً من تأثير العوامل الاجتماعية فى بعضها البعض.

تلك هى أهم الأسس التى استند إليها ابن خلدون فى إقامته لعلم العمران وتحديده لطبيعة المجتمع ؛ وطبيعة الظواهر الاجتماعية « التى لا تسير حسب الأهواء والمصادفات ولا حسب ما يريده لها الأفراد ، وإنما تسير فى نشأتها وتطورها ومختلف أحوالها حسب قوانين ثابتة مطردة . . إلخ » ومما يدل على وضوح فكرة المجتمع فى ذهنه أنه قارن بين المجتمعات الحيوانية والبشرية من حيث الجوهر والعوارض « فاجتماع الحيوان يكون مدفوعا إليه بالفطرة فقط (أى بالغريزة) ، أما الاجتماع الإنسانى فالدافع إليه (الفطرة والعقل معا) ولا يسعنا أمام كل هذا إلا أن نقرر أن ابن خلدون هو المؤسس الأول لعلم العمران ، أى لعلم الاجتماع.

رابعاً : منهاج البحث فى علم العمران :

يعتمد ابن خلدون فى بحوثه على ملاحظة الظواهر الاجتماعية فى الشعوب التى أتيح له الاحتكاك بها ، والحياة بين أهلها ، وتعقب هذه الظواهر فى تاريخ الشعوب نفسها فى العصور السابقة لعصره ، وتعقب أشباهها

ونظائرها فى تاريخ الشعوب الأخرى التى أتيح له الاحتكاك بها ، والحياة بين أهلها ، والموازنة بين هذه الأوضاع جميعها ، والتأمل فى مختلف نواحيها ، للوقوف على طبائع الظواهر وعناصرها الذاتية وصفاتها العرضية وما تؤديه من وظائف فى حياة الأفراد والجماعات ، والعلاقات التى تربطها ببعضها البعض ، والتى تربطها بما عداها من الظواهر الكونية ، وعوامل تطورها واختلافها باختلاف الأمم والعصور ، ثم الانتقال من هذه الأمور جميعاً ، إلى ما بعدها . وفى ضوء هذه الاعتبارات كلها استخلص ما تخضع له هذه الظواهر فى مختلف أجوالها من قوانين وعلاقات .

ومن هذا يتضح أن ابن خلدون اتبع فى دراساته طريقة مغايرة لطرائق سابقيه حيث لم يقتنع بالمفاهيم أو بالطرق التى استخدمها من سبقه فى هذا المجال ، بل إنه نقد طرائقهم فى شرح التاريخ ؛ وأظهر عدم ملاءمتها ، وراح يستخدم طريقته فى البحث ، تلك الطريقة التى تشكل منهاجا علميا يقوم على : الملاحظة ، التجربة ، المنطق العلمى ، استقراء الحوادث ، بالإضافة إلى مزيد من الاهتمام بمنطق المقارنة والتحليل .

ولكى نوجز منهاج ابن خلدون فى خطوات محددة ، فإننا سوف نعمل على تجميع تلك الخطوات من مقدمته السالفة الذكر ، حيث لم يضع منهاجه فى إطار محدد ، وإنما استخدمه فى كل دراساته . ويهدف هذا المنهاج — بتعبيرات ابن خلدون نفسه كما جاءت فى مقدمته — إلى تمحيص الأخبار وتصحيح الوقائع التاريخية على اعتبار أن الطريقة التى يراها مثلى لتحقيق ذلك ، هى أن يكون عالم التاريخ ملما بطبائع العمران وأحوال المجتمع ، لكى يتمكن من الحكم على الوقائع موضوع بحثه ، وعما إذا كانت تتفق أو لا تتفق مع ظواهر وأحوال المجتمع . ومن هنا فإنه يوجب على المؤرخ ، قبل أن يفسر التاريخ ويعلله ، أن يلم بدراسة شئون العمران من سياسية واقتصادية ودينية ؛ حتى يستطيع فى

ضوء تلك المعرفة أن يصحح ما بين يديه من الحقائق . ولعله يريد أن يقول إن المؤرخ لكى يشرح ويفسر وقائع التاريخ ويتنبأ بما يمكن أن يقع من أحداث . ينبغى أن يكون من علماء الاجتماع .

مرحلتا منهاج ابن خلدون :

وهو فى بحثه للظواهر الاجتماعية يجتاز مرحلتين :

المرحلة الأولى : التى تتمثل فى إجراء ملاحظات حسية ، وتجميع الوقائع التاريخية لظواهر الاجتماع ، أى جمع المادة الأولية اللازمة لموضوع بحثه من المشاهدات ومن بطون التاريخ . ويطالب الباحث بالابتعاد عن الأخطاء التى وقع فيها من سبقه ، ونقد هذه الملاحظات والمشاهدات والوقائع . وذلك هو النقد السلبى فى البحث العلمى .

المرحلة الثانية : وتتمثل فى عمليات عقلية يجريها على هذه المواد الأولية . ويصل بفضلها إلى الغرض الذى قصد إليه من هذا العلم ، وهو الكشف عما يحكم الظواهر الاجتماعية من قوانين . وتعتمد هذه المرحلة على الوصف التحليلى أو الإيجابى الذى يقتضى من الباحث الاجتماعى أن يتبع الأسس المنهجية (الملاحظة — التجربة — والاستقراء) التى ترشد الباحث إلى الوصول إلى القوانين التى تحكم الظواهر الاجتماعية والعلاقات التى تربط بينها .

أخطاء الباحث فى المرحلة الأولى من منهاج ابن خلدون :

وأعطى ابن خلدون أمثلة عن المرحلة الأولى توضح قصور مناهج سابقيه من المؤرخين ، فقد تبين له بالدراسة والبحث أنهم يسيرون فى دراسة التاريخ على طريقة فاسدة كل الفساد ، تجمع بين الغث والسمين ، كما وجدهم يعتبرون التاريخ نوعا من القصص الشعبى الدارج الذى يرويه الرواة والحفاظ من العامة دون تصحيح أو تمحيص . ووجد

كذلك أن رواياتهم تتناقض مع الواقع وتتعارض مع طبائع الأشياء، كما قد يذهب بعضها إلى درجة تجاوز نطاق العقل البشرى إلى خوارق الطبيعة . وقد أرجع ابن خلدون أسباب قصور مناهجهم هذه إلى :

١ ــ **توهم الصدق** وهو كثير : على اعتبار أن الاعتماد على النقل دون النظر فى أصول العادة وقواعد السياسة وشئون المجتمع ، وعدم قياس الغائب بالشاهد ، والحاضر بالذاهب ، لابد أن يؤدى بنا إلى البعد عن الحقيقة الكاملة ، ومنها « الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع لأجل ما يداخلها من التلبيس والتصنع ، فينقلها المخبر كما رآها ، وهى بالتصنع على غير الحق فى نفسه » .

ويضيف إلى ذلك قوله «والقياس نتائجه معروفة ،ومن الغلط غير مأمونة، تخرجه ــ مع الذهوب والغفلة ــ عن قصده ، وتعوج به عن مرامه ، فربما سمع السامع كثيراً من أخبار الماضين ، ولا يفطن لما وقع من تغير الأحوال وانقلابها ، فيجريها لأول وهلة ، على ما عرف ويقيسها بماشهد وقد يكون الفرق بينهما كبيراً ، فيقع فى مهواة الغلط »(١) .

٢ ــ **التشيعات للآراء والمذاهب** : ولم يفته أن يبرر أسباب ذلك حيث قال : إن النفس إذا كانت على حال الاعتدال فى قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص والنظر ، حتى تتبين صدقه من كذبه ، وإذا خامرها تشيع لرأى أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة . فكأن ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص فتقع فى الكذب ونقله » .

٣ ــ « **الثقة بالناقلين** » : فمن رأيه أن من الأسباب المفضية للكذب فى الأخبار أيضاً ، الثقة بالناقلين، بمعنى أن تصديق الباحث لما يسمعه كما يرويه ثقاة المؤرخين غير كاف ، ومن الضرورى ألا يكتفى بهذه الثقة، وإنما عليه أن يضع الحقائق التاريخية تحت مجهر الطريقة النقدية بوجهيها

---

(١) د . وافى ... المقدمة جـ ١ ط ٢ ص ٤٠١

« النقد الداخلى والنقد الخارجى » هذا، والنقد الخارجى يوجب على الباحث أن يتأكد من أمانة الراوى وصدقه ، وسلامة ذهنه ، وطهارة عقيدته ، ومتانة خلقه ، وقيمته الشخصية . على حين أن النقد الداخلى يوجب عليه أن يناقش الرواية فى ذاتها وأن يتعرف إلى أى مدى يمكن أن تتفق مع طبيعة الأمور ، ومع الظروف والملابسات التى يحكيها الراوى ، ومناقشة تلك الرواية .

٤ — « أخطاء الذهوب عن المقاصد » فمن رأيه أن من هذه الأخطاء الذهوب عن المقاصد ، فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين أو سمع ، وينقل الخبر على ما فى ظنه وتخمينه فيقع فى الكذب. فقد كان يعتقد أن المؤرخين أو النقاد يجهلون الغاية مما يسمعونه من الناس ، ويذهبون فى صدد هذه الروايات مذاهب شتى من الحدس والظن والتخمين ، ويغضون الطرف عن الغاية المستهدفة من قص الحوادث أو سرد الروايات ، ومن هنا يقعون فى الكذب بلا ريب .

٥ — « تزلف العلماء لأصحاب النحلة بالثناء والمديح ، وتحسين الأحوال وإشاعة الذكر » وبالتالى يترتب على ذلك تزييف للحقائق يجعل كل شىء بعكس ما هو عليه فى سبيل حصولهم على المناصب أو الجاه أو السلطان ، ومن هنا فإن بحوثهم مليئة بالمتناقضات « فتستفيض الأخبار بها على غير حقيقة ، فالنفوس مولعة بحب الثناء ، والناس متطلعون إلى الدنيا وأسبابها من جاه أو ثروة ، ليسوا فى الأكثر راغبين فى الفضائل ولا متنافسين من أجلها » وذلك كما يحدث فيما يكتبه كثير من المؤرخين عن الأسرات المالكة والبيوتات الكبيرة فى عصور حكمها ومجدها(١).

٦ — « جهل المؤرخين بطبائع الأحوال فى العمران » وهى سابقة على كل ما تقدم . وهذا الجهل يعتبره ابن خلدون خطأ فاضحا ،

---

(١) الدكتور على عبد الواحد وافى : مقدمة ابن خلدون (لجنة البيان العربى) الجزء الأول القاهرة ١٩٥٧ ص ٣٦١

الفصل الحادى عشر

أوجيست كونت وعلم الاجتماع

كان (كونت) ١٧٩٨ — ١٨٥٧ فيلسوفا اجتماعياً فرنسيا من مفكرى القرن التاسع عشر ، التقى بسان سيمون وهو فى العشرين من عمره ، وكان يقرأ له البحوث ويلخصها له . كما كان هو يعد البحوث لنفسه فى الموضوعات التى تؤرق ذهنه ولا سيما فى فلسفة التاريخ ومناهج العلوم ، كما كتب كثيراً من المقالات العلمية فى مجلة (المنظم) التى كان يصدرها سان سيمون ، وكذلك كتب مقالا سنة ١٨٢٢ بعنوان « نشرة عن الأعمال العلمية الضرورية لإعادة تنظيم المجتمع(١) » . وفى هذا المقال أوضح أنه نتيجة لطبيعة التفكير الإنسانى نفسه ، فان كل فرع من فروع معرفتنا ، يمر فى سيره عبر التاريخ بثلاث حالات نظرية مختلفة هى : الحالة التيولوجية أو الخيالية ، ثم الحالة الميتافيزيقية أو المجردة وأخيراً الحالة العلمية أو الوضعية . وتلك الحالات الثلاث التى اعتبرها قانوناً هى التى مهدت لقيام علم الاجتماع الحديث لدى أوجيست كونت. وفى هذا المقال يكشف كونت — أيضاً — عن التطور التاريخى للعلوم الذى ساعده على تصنيف العلوم ، وعلى قيام (فلسفته الوضعية) فيما بعد . وبالإضافة إلى ذلك فقد كتب كثيراً من المقالات ، إلى أن انفصل عن سان سيمون سنة ١٨٢٤ بعد سبع سنوات فى زمالة علمية ، كتب عنها مرة إلى صديقه (فالا) Valat فى ١٧ أبريل سنة ١٨١٨ يقول (إن اتصالى بسان سيمون قد علمنى ما لم يكن فى إمكانى أن أعرفه

---

(١) Prospectus des travaux scientifiques nécessaires pour réorganiser la société.

لو قضيت عشرات السنين بين أحضان الكتب وحدها) ثم عاد بعد انفصاله عنه وهاجمه هجوماً قاسياً وأنكر أى فضل له عليه .

وعكف كونت على القراءة والتحصيل وإلقاء المحاضرات ، ومكث ست سنوات من ١٨٤٨ إلى ١٨٥٤ يعد فى مؤلفه الكبير الذى يتكون من أربعة أجزاء بعنوان «منهاج السياسة الوضعية» Le Systeme de Politique Positive وقد تناول فى هذا المؤلف موضوعات متنوعة تدور حول نظام التربية الوضعية ، والاجتماع فى حالتيه الساكنة أو الاستاتيكية الاجتماعية Statitique Sociale والمتحركة أو الديناميكية Dynamique Sociale وفى الحالة الساكنة يعطى نظرية وضعية لكل نوع من الخصائص الجمعية فى المجتمعات الإنسانية ، فيتناول الدين ، الملكية ، الأسرة ، اللغة ، والتنظيم الطبقى ، بالدراسة والتحليل . .. وفى الحالة الديناميكية يتناول فكرة التقدم الإنسانى بالدراسة والتحليل العميقين . ويختتم هذا المؤلف بتحديد معالم نظريته فى مستقبل الإنسانية والديانة العالمية . وصدر له بعد ذلك مؤلفات متعددة .

ومن المعروف أن المؤرخين ينسبون إلى (أوجيست كونت) الفضل فى إنشاء علم الاجتماع فى أوروبا ، ولا يزال هذا الاعتقاد قائماً حتى الآن ، بالرغم من أن ابن خلدون هو المؤسس الأول لعلم الاجتماع ، ومن بعده حاول سان سيمون أن يحدد علم الفزيولوجيا الاجتماعية أو علم الاجتماع ، ومن بعدهما اتضحت معالم علم الاجتماع بصورته الحديثة لدى أوجيست كونت .

هذا وفيما يلى سوف نتناول دراسات كونت فى التفكير الاجتماعى من أهم زواياها ، ولا سيما النواحى التالية .

١ — فى ضرورة قيام علم الاجتماع .

٢ — منهاج البحث فى علم الاجتماع .

٣ — موضوع علم الاجتماع .

٤ — نظرية التقدم الاجتماعى .

٥ — نظرية كونت فى الأسرة .

٦ — تقويم دراسات كونت .

أولا : فى ضرورة قيام علم الاجتماع :

لاحظ كونت وجود بعض الفروق البسيطة فى التكوين الجسمانى بين الإنسان وبين السلالات الحيوانية القريبة منه ، كما لاحظ وجود شىء معين لدى الإنسان غير موجود بالمرة لدى كافة أنواع الحيوانات ، وهذا الشىء هو وجود حضارة معينة مرتبطة بتاريخ معين لدى الإنسان . كما لاحظ أن عنصر التاريخ هذا يميز الإنسان على الحيوان ، وأن هذا العنصر يتكون بصفة أساسية من المحافظة على القديم من جانب ، والاتجاه نحو التقدم من جانب آخر ، وكما يقوم عنصر التاريخ على النقل ، فإنه يحتوى أيضا على خاصية الابتكار . **واستشهد على ذلك بتجمع القردة الذى يقوم على فكرة النقل دون الابتكار** . بينما التاريخ ينطوى على كثير من الاختراعات الإنسانية . ذلك أن التاريخ هو الذى يسجل التأثير المنتظم والمستمر للأجيال بعضها على البعض الآخر (١) . **ومن هذه التأثيرات الحضارية يتكون الوجود التاريخى** ، كما أن الحضارة تسجل داخل هذا الوجود بواسطة التاريخ .

ولما كانت الخاصية المميزة للانسان هى حركة الحضارة عبر التاريخ . فإن العلم الوضعى للانسان سوف يكون بالضرورة دراسة تلك الحركة الحضارية . وباستخدام قانون الحالات الثلاث مع تصنيف العلوم ، نستطيع أن نقف على الاتجاه العام للحضارة ، كما نستطيع تحديد الخطوط العريضة للتاريخ الذى هو جوهر الحياة الإنسانية .

ومفهوم التاريخ لدى كونت ينضوى تحت لوائه التاريخ الاجتماعى ، الاقتصادى ، السياسى ، والفنى ، وكذلك تاريخ الآداب والفنون ، وذلك لارتباطها جميعا برباط واحد وهو أنها من ابتكارات الإنسان ، بمعنى أن مزج هذه التواريخ يشكل تاريخ التفكير الذى يمهد لكافة أنواع النشاط الإنسانى فى الوجود .

ومن هنا فإن علم الإنسان لدى كونت ليس شيئاً آخر سوى فلسفة التفكير عبر تاريخ العلوم ، وفلسفة جميع فروع التاريخ التى ترتبط ارتباطا وثيقاً فى داخل كل نوع من أنواع الحضارة . وإذا كانت السمة التى تميز الإنسان هى فكرة التاريخ التى تقوم على فكرة الحضارة ، فإننا نجد أن هذه الفكرة هى التى تربط الأفراد بعضهم بالبعض الآخر .

وفى تلك الأثناء **وقعت الثورة الفرنسية** ، وبدأ المفكرون فى وضع أسس الإصلاح الاجتماعى المنشود للمجتمع الفرنسى ، مع إعادة تنظيم ذلك المجتمع بالصورة المثلى . **ومن هنا اتخذ كونت من دوره فى الإصلاح الاجتماعى وسيلة لتأسيس علم جديد هو « علم الطبيعة الاجتماعية »** Physique Sociale **ثم عاد وأطلق عليه اسم « علم الاجتماع »**(١) Sociologie على اعتبار أن كونت وجد أن المجتمع الفرنسى يعانى اضطراباً شديدا فى التفكير . وهذا الاضطراب ناشىء عن وجود أسلوبين متناقضين للتفكير وفهم الظواهر ، أحدهما هو الأسلوب العلمى الوضعى الذى يتجه إليه الناس فى عصره أثناء التفكير فى الظواهر الكونية والطبيعية والبيولوجية . وثانيهما التفكير الدينى الميتافيزيقى الذى يلجأون إليه عند التفكير فى الظواهر التى

---

(١) يتكون هذا الاصطلاح من كلمتين إحداهما لاتينية وهى Societas ومعناها « الجماعة » والثانية يونانية وهى Logos ومعناها علم أو بحث . وقد استهجن العلماء هذا الاشتقاق ، ولكنه انتشر بالرغم من ذلك لمناسبته والحاجة إليه

تتعلق بالإنسان وبالمجتمع . وبمقتضى استمرار هذين الأسلوبين سوف يستمر الاضطراب الفكرى الإنسانى ، بل وحدوث أقصى ما يمكن حدوثه من اضطراب فى التفكير ، إذ ليس بعد قبول النقيضين خلل فى التفكير ولا اضطراب فى الفهم . ومن هنا أطلق « كونت » على هذه الحالة اسم « الفوضى العقلية » ثم أكد - ما ترتب على ذلك - أى على الفوضى العقلية من فساد فى الأخلاق والسلوك ، لأن كل ما يعترى الفكر من اضطراب وفساد يتردد صداه - فى نظر كونت - فى الأخلاق والسلوك . وكذلك أدى فساد الأخلاق والسلوك إلى فساد شامل فى مختلف فروع الحياة ، لأن هذه الحياة قائمة على دعائم من الأخلاق والمثل ، فبفساد هذه الدعائم وانهيارها تفسد جميع فروع هذه الحياة وتتقوض أركانها ... **فلا سبيل إذن للاصلاح الاجتماعى إلا بإصلاح الفكر الانسانى ، فبصلاحه يصلح ما أفسد من الأخلاق ، وبصلاح الأخلاق تصلح جميع فروع الحياة الاجتماعية . فالفكرة إذن هى أساس النسق الاجتماعى** Social System ومن هنا وجد كونت أن خلاص المجتمع من تلك الفوضى العقلية يحتاج إلى فلسفة إصلاحية جديدة . فالفلسفة من وجهة نظره ليست لها غاية فى ذاتها وإنما هى وسيلة للوصول إلى غايات عملية فى شئون الاجتماع والأخلاق والسياسة والدين وأن الفلسفة بهذا المفهوم هى علم الاجتماع .

ولكى يبرهن على صحة وجهة نظره هذه قال بحلول ثلاثة للتخلص من حالة الاضطراب العقلى الناجمة عن أسلوب التفكير فى المجتمع ، وهذه الحلول الثلاثة هى :

١ — التوفيق بين أسلوب كل من التفكير الوضعى والتفكير البيلوجى الميتافيزيقى والعمل على استمرارهما بعيدا عن التناقض .

٢ — تعميم استخدام المنهاج التيولوجى الميتافيزيقى ، وإخضاع جميع العقول والعلوم له ، مع إهمال النتائج العلمية التى حققها التفكير فى ضوء المنهاج الوضعى .

٣ — تعميم التفكير بأسلوب المنهاج الوضعى فى فهم جميع ظواهر الكون ومن ثم تحقيق « وحدة المعرفة الوضعية » .

غير أنه تبين له أن الحل الأول يستلزم التوفيق بين طريقتين متناقضتين فى أساسهما ، وأن بقاء إحداهما يستلزم القضاء على الأخرى ، ذلك أن الطريقة الدينية الميتافيزيقية تقوم على التأمل النظرى والبحث المطلق بهدف الوصول إلى مبادىء فلسفية لا سبيل إلى تصورها ، بعكس الحال فى الطريقة الوضعية التى تقوم على ملاحظة الظواهر لتحديد عناصرها الجزئية ، وتقرير طبائعها تمهيداً للوصول إلى أسبابها المباشرة ، وتحديد القوانين التى تخضع لها مثل هذه الظواهر .

بمعنى أن الطريقة الوضعية لا تبحث إلا عن **السبب المباشر للظاهرة** ، على حين أن الطريقة الدينية الميتافيزيقية لا تبحث إلا عن **السبب غير المباشر للظاهرة ، وعن علتها الأولى التى تتمثل فى قوة مشخصة مريدة أو قوة مبهمة** وبمعنى آخر أن :

— الطريقة الوضعية تقوم على الإيمان بأن الظواهر خاضعة لقوانين .

— والطريقة الدينية الميتافيزيقية تقوم على الاعتقاد بأنها غير خاضعة لقوانين .

أى أن : —

(أ) إحداهما **لا تبحث إلا عن القوانين** .

(ب) والأخرى **تبحث عن كل شىء إلا هذه القوانين** .

— إحداهما توجه كل عنايتها إلى **دراسة الظاهرة نفسها** .

— والأخرى تقطع النظر عن الظاهرة وتتجه إلى البحث عن **موجدها الأول أو سببها الأول** .

على حين أن الحل الثانى الذى يستلزم تعميم أسلوب التفكير بالطريقة الدينية الميتافيزيقية ونبذ الطريقة الوضعية فى التفكير . وهنا وجد كونت

أن ذلك قد يعيد إلى المجتمع الوحدة العقلية المبتغاة . ولكنه فى نفس الوقت يتطلب إدارة ظهورنا للانتصارات العلمية التى حققتها الطرق الوضعية مثل اختراع الكتابة والطباعة وكل ما حققه رواد الفكر العلمى الوضعى مثل جاليلو ، ديكارت ، بيكون ، ونيوتن وغيرهم ... وهذا الحل أيضاً غير قابل للتنفيذ لأن إعادة التفكير الدينى الميتافيزيقى تعنى إعادة الفوضى للمجتمع ، ولا تعنى أبداً منع التقدم العلمى من الاستمرار .

ومن هنا قرر أن الاتجاهين السابقين ليس فيهما الحل المنشود ، ومن ثم فان الحل الأسمى هو الأخذ بطريقة التفكير الوضعى ، واعتبارها منهاجاً كلياً عاماً ، ولكن هذا الحل يستحيل الأخذ به بدون فهم الناس لظواهر الاجتماع بالطريقة الوضعية ، كما تفهم الظواهر الكونية دون الاجتماعية وأن هناك قاعدتين لكى يفهم الناس ظواهر الاجتماع بهذا الأسوب هما :

(ا) أن تكون ظواهر الاجتماع خاضعة لقوانين ولا تسير وفق الأهواء والمصادفات ، على اعتبار أن فهم الظواهر بالطريقة الوضعية يعتبر وسيلة للوصول إلى القوانين التى تحكم هذه الظواهر . فإذا كانت بحسب طبيعتها غير خاضعة للقوانين ، فانه يستحيل فهمها فهماً وضعياً. وينتهى إلى أنه طالما أن ظواهر الاجتماع جزء من الطبيعة الكلية ، وما دامت الطبيعة الكلية قد أخضعت للقوانين ، فان الظواهر الاجتماعية بالضرورة تخضع للقوانين .

(ب) تيسير وسائل فهم الناس للقوانين التى تخضع لها ظواهر الاجتماع ، وهذا لا يتأتى إلا إذا كشف البحاث عن هذه القوانين .

ولا يمكن الكشف عنها إلا إذا درست الظواهر الاجتماعية دراسة وضعية ، ترمى إلى بيان طبيعتها والعلاقات التى تربطها بعضها ببعض وتربطها بغيرها ، وما يحكمها من قوانين . وما ينجم عن هذه

العلاقات من نتائج فى نشأة هذه الظواهر وتطورها واختلافها باختلاف المجتمعات والعصور .

ومن ثم فإنه على أساس نتائج هذه الدراسة يتوقف إصلاح الفكر وانسجامه ، **وعلى أساس إصلاح التفكير ، يتوقف إصلاح الأخلاق وعلى أساس إصلاح الاخلاق ، يتوقف الإصلاح الاجتماعى** . ولما كان « كونت » بحكم عضويته فى اللجنة الفرنسية للاصلاح الاجتماعى ؛ التى شكلت من أجل إصلاح المجتمع الفرنسى اجتماعياً ، عقب الثورة الفرنسية فقد قام هو نفسه بإنشائها - أى بدراسة الظواهر الاجتماعية دراسة وضعية - تؤدى إلى الكشف عما تخضع له هذه الظواهر من قوانين . ووجد أنه يستحيل الكشف عنها بدون قيام علم جديد ، وظيفته دراسة ظواهر الاجتماع دراسة علمية وصفية تحليلية ، أى دراسة وضعية . ووقع اختياره على اسم جديد لهذا العلم يختلف عن تسمية ابن خلدون له ، وكان الاسم المختار هو « علم الاجتماع » وبذلك ولد علم الاجتماع أو بعث من جديد فى فرنسا على يدى « أوجيست كونت » بهدف القضاء على الفوضى الاخلاقية ، وبالتالى القضاء على الفوضى الاجتماعية .

وهذا العلم بالرغم من حداثته ، فقد تزعم العلوم الوضعية الأخرى واحتل قمتها ذلك أن « النظرية الاجتماعية » لدى كونت تتكون من قضيتين أساسيتين ومترابطتين .

الأولى : هى قانونه ذو المراحل الثلاث .

والثانية تتمثل فى مبدئه النظرى ،ومضمونه أن العلوم تنتظم فى نسق تسلسلى يشغل علم الاجتماع قمته .

والعلوم من وجهة نظر كونت وكما جاءت فى قضيته الثانية السالفة الذكر ، إما نظرية أو عملية تطبيقية ، حيث تهتم الأولى بتناول الظواهر

الملموسة ، بينما تعمل الثانية على اكتشاف القوانين الطبيعية التى تحكم هذه الظواهر وتحدد وجودها وتتابعها .

وتشكل العلوم النظرية سلما أو سلسلة تعتمد فيها كل حلقة على تلك التى تسبقها لاهتمامها بظواهر ملموسة وتتميز بكثرة التركيب . وتحتل الرياضة قاعدة السلم لأنها تهتم بالجوانب المجردة لجميع الظواهر ، ويليها فى الترتيب الميكانيكا التى كان كونت يخلط بينها — بصفة دائمة — وبين الفلك ، وهو العلم الذى حقق فى عصره تقدماً ملموساً ، ثم الفيزياء ، فالكيمياء ، فالبيولوجيا ، **وفوق ذلك كله يتربع العلم الجديد وهو الفيزياء الاجتماعية أو علم الاجتماع** ، ويلاحظ كما يرى « تيماشيف » أن قائمة العلوم هذه ينقصها علم النفس الذى اعتبره كونت فرعا من الفزيولوجيا على اعتبار أن موضوعه أكثر الموضوعات تركيباً وتعقيداً ، لتفاعل عناصرها وتداخلها وتأثيرها بالنشاط والتدخل الإنسانى . كما أن العلوم الوضعية الأخرى تعتبر بمثابة مقامات تمهد الطريق له وتفسح المجال لبحوثه ودراساته وتطبيقاته . ذلك أن دراسة المجتمع كثيرة التركيب والتعقيد . فى الوقت الذى لم يهمل فيه ابن خلدون الجوانب النفسية ، قبل ظهور علم النفس بأربعمائة سنة على الأقل .

وقانون المراحل الثلاث . يعنى — قبل كل شىء — أن كل ميدان من ميادين المعرفة قد مر فى تطوره بثلاث مراحل : **اللاهوتية والميتافيزيقية والوضعية** . لكن العلوم لم تنتقل — معا — من مرحلة إلى أخرى ، فكلما كان العلم يشغل مكانا عاليا فى سلم العلوم ، تأخر تحوله وانتقاله من مرحلة إلى أخرى . ومن الضرورى أن يكون كذلك لأن العلوم غير التركيبية تتطور وتنمو فى البداية ، على حين أن العلوم الشديدة التركيب يأتى تطورها ونموها متأخرا . وانتهى كونت من هذا التحليل إلى أن كل ميادين المعرفة قد وصلت إلى المرحلة الوضعية فيما عدا ميدان واحد ، وهو ميدان الدراسات

الاجتماعية ، وبالتالى كانت صيحته بضرورة قيام علم الاجتماع لإتمام تلك السلسلة(١) .

هذا ومما تجدر الإشارة إليه أن « كونت » بحكم دراساته فى مدرسة الهندسة العسكرية بباريس وبحكم دراساته الواسعة فى الرياضيات ، الكيمياء ، الطبيعة ، والهندسة الوصفية . . فقد اهتم بتعريف الظواهر الطبيعية والكيميائية والبيولوجية دون تعريف الظواهر الاجتماعية . وبالتالى فإنه لم يحدد موضوع علم الاجتماع ، وإن كان المرء يستشف موضوع العلم من دراساته ، وبرر ذلك بقوله أن علم الاجتماع يتناول بالدراسة الظواهر التى لم تتناولها العلوم الأخرى السابقة عليه ، ومن ثم فإنه من العبث محاولة تحديد الظاهرة الاجتماعية أو تعريفها لأن الظواهر الإنسانية بما فى ذلك ظواهر علم النفس هى ظواهر اجتماعية . إذ كان من رأيه أن علم النفس ليس ذا موضوع مستقل ، لأن وسائله وظواهره ، يتصل بعضها ويتوقف على شئون الجسم وأجزائه ووظائف الأعضاء وأعمال الجهاز العصبى ، وهذا القسم يدخل فى نطاق العلوم الطبيعية . ويتصل بعضها ويتوقف على الحياة الاجتماعية وشئون الاجتماع وهذا القسم يجب أن يلحق بعلم الاجتماع . وترتيبا على ذلك . قرر أن الانسانية كلها هى موضوع هذا العلم . وهى الحقيقة الجديرة بالبحث من جهة نظره .

شعبتا علم الاجتماع :

وأضاف كونت أن الدراسة فى موضوع علم الاجتماع تكون من منظورين هما « السكون الاجتماعى » أو الاستاتيك الاجتماعى ، و « الحركة الاجتماعية أو الديناميك الاجتماعى (٢) . وأن موضوع « الاستاتيك الاجتماعى » هو دراسة المجتمعات الإنسانية فى حالة سكونها دراسة تشريحية ، وباعتبارها

---

(١) Timasheff, N. S.; Sociological Theory, Its Nature and Growth, Second printing, Radom House, N. Y., 1967 Ch. 2.

(٢) Comte, A.; Le System de Politique Positive.

ثابتة فى فترة معينة من تاريخها ، ويضاف إلى ذلك أن دراسة الاجتماع الإنسانى فى جزئياته وتفاصيله ، على اعتبار أن المجتمع يتمثل فى كثير من القواعد والنظم السياسية والقضائية والاقتصادية والدينية والأخلاقية . ووظيفة الاستاتيك هى دراسة هذه النظم فى عناصرها ووظيفتها ، بالإضافة إلى الدراسة الاستقرارية بهدف الكشف عن القوانين التى تحكم التضامن (الترابط) بين النظم الاجتماعية .

أما موضوع الديناميك الاجتماعى فهو دراسة قوانين الحركة الاجتماعية والسير الآلى للمجتمعات الإنسانية ، والكشف عن مدى التقدم الذى تخطوه الإنسانية فى تطورها ، بمعنى أنه يدرس الاجتماع الإنسانى فى جملته وتفصيلاته ، ومن ناحية تطوره وانتقاله فى عمومه من حالة إلى حالة أخرى .

وبعبارة موجزة ، فإن كونت يرى أن الاستاتيك الاجتماعى يقوم على أساس فكرة « التضامن والنظام » بينما الديناميك الاجتماعى يقوم على أساس فكرة « التطور والتقدم » ، ولقد اهتم كونت بالديناميك الاجتماعى لأنه أفضل من الاستاتيك الاجتماعى ، لأن الثانى لا يستطيع الوصول إلى قوانينه بدون الاستعانة بالقوانين الديناميكية التى تسود المجتمع . هذا وسوف نتناول هاتين الشعبتين بالتفصيل فيما بعد .

ثانيا : منهاج البحث فى علم الاجتماع :

كان كونت يعتقد أن مناقشة المناهج لا يمكن أن تنفصل عن دراسة الظواهر وهو الموضوع الذى تستخدم هذه المناهج فى بحثه . ولهذا فإنه عندما انتهى من إنشاء علم الاجتماع ، ووجد أن هذا العلم يتطلب تغيرا شاملا فى أسلوب الدراسة ، وبمعنى آخر يتطلب منهاجا جديدا يتفق مع الصورة الحديثة لعلم الاجتماع ؛ ذلك العلم الذى يهدف إلى **تحقيق وحدة المعرفة** للقضاء على الفوضى العقلية . وأوضح أن مجالات التغيير هى :

١ — كانت ظواهر الكون بما فيها ظواهر الاجتماع الإنسانى تخضع للطريقة الدينية الميتافيزيقية التى تتأثر بقوى خارقة للعادة طبقاً لاعتقاد الناس